المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

القوة الإنجازية للأفعال الكلامية
في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة

The performance power of speech acts in lamentation poetry according to Al-Muhalhal bin Rabia

بقلم الدكتور

السيد مبارك أبوزيد عبد المنعم

أستاذ مساعد علم اللغة ـ جامعة الجوف ، المملكة العربية السعودية
مدرس علم اللغة ، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة

السيد مبارك أبوزيد عبد المنعم

قسم اللغة العربية، جامعة الجوف ، المملكة العربية السعودية

قسم علم اللغة ، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: sma04@fayoum.edu.eg

الملخص

يدرس البحث نظرية الأفعال الكلامية –تنظيرا وتطبيقا– بوصفها أحد أهم جوانب المنهج التداولي، ويهدف إلى الوقوف على القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة، والتي ظهرت –بأنواعها المختلفة– بصورة واضحة في النسق الشعري لدى المهلهل بن ربيعة من خلال استخدامه لسلسلة متناسقة من تلك الأفعال ويحاول البحث تقصي استعمال الشاعر للأفعال الكلامية وبيان مدى قدرته على توظيف الفعل الكلامي؛ إذ من خلال هذا النص الشعري يحاول الباحث أن يجيب عن سؤال مفاده: كيف تشكلت القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة، وبناء على هذا جاء البحث في مقدمة ومبحثين، الأول منهما بعنوان: الأفعال الكلامية/ الماهية والأنواع، وثانيهما جاء بعنوان: الأفعال الكلامية/ النص والإجراء، ثم جاءت الخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويلحق بها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التداولية ، الفعل الكلامي ، القوة الإنجازية، شعر الرثاء، المهلهل بن ربيعة.

The performance power of speech acts in lamentation poetry according to Al-Muhalhal bin Rabia

Mubarak Abu Zaid Abdel Moneim
Department of Arabic Language, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia / Department of Arabic Language, College of Dar Al-Ulum, Fayoum University, Egypt.
Email: sma04@fayoum.edu.eg

Abstract

The research studies the theory of speech acts - in theory and application - as one of the most important aspects of the pragmatic approach, and aims to identify the performative power of speech acts in the poetry of lamentation by Al-Muhalhal bin Rabia, which appeared - in its various types - clearly in the poetic style of Al-Muhalhal bin Rabia through its use. For a consistent series of these verbs, the research attempts to investigate the poet's use of speech acts and demonstrate the extent of his ability to employ the speech act. Through this poetic text, the researcher is trying to answer a question that says: How was the performative power of speech acts formed in the poetry of lamentation according to Al-Muhalhal bin Rabi'a? Based on this, the research came in an introduction and two sections, the first of which was entitled: Speech Acts / Essence and Types, and the second of which was entitled : Speech acts/text and procedure. Then comes the conclusion, presenting the most important results reached by the research, and it is accompanied by evidence of the most important sources and references.

Keywords: pragmatics, speech act, performative power, lamentation poetry, Al-Muhalhal bin Rabiah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد نظرية الأفعال الكلامية واحدة من أهم الجوانب التي قام عليها المنهج التداولي، وهي تحاول أن تضع أيدينا على قصدية المتكلم من خلال إعطاء تفسيرات للأسئلة الآتية: ماذا أنجز الكلام بوصفه فعلا صوتيا؟ وكيف أثر في المتلقي؟ ولذا فهي تبنى على أساس "التفريق بين الفعل بوصفه صيغة Verb، وبين الفعل من حيث كونه حدثا واقعا act action"(١)، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذا البحث الذي جاء **بعنوان:** "القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة"(٢)

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام): أوستين ترجمة: عبد القادر قنيني، (ص٧)، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

(٢) المهلهل بن ربيعة: هو عدي بن ربيعة، أخو كليب الذي هاجت بمقتله حرب بكرٍ وتغلب، وكَانَ أول من قصد القصائد وَذكر الوقائع فِي قتل أَخِيه كُلَيْب وَائِل الذي قتلته بَنو شَيبَان. وهو خال امرئ القيس. وجدّ عمرو بن كلثوم، أبو أمّه ليلى.

ــ وقد اختلف الرواة في اسم الشاعر وتعددت الروايات وكل رواية تدعم نفسها، أو تستند إلى بيت شعري، أو تستند إلى واقعة تزعم أنها حدثت، لكن الباحث المتمعن يدرك دون مشقة أن كل شيء جائز، وأنه ما من رواية صحيحة تماما، بل قد تكون موضوعة لتحقيق غرض معين. فيقول المرزباني: مهلهل بن ربيعة التغلبي قيل اسمه امرؤ القيس، وقيل اسمه عدي، وقيل إن عديًّا هذا هو أخو مهلهل، وكان مهلهل القائم بالحرب ورئيس تغلب، فلمّا كان يوم قضة (وهي عقبة بعارض اليمامة، كانت بها وقعة بكر وتغلب العظمى)، أَسَرَهُ الحارث بن عباد وهو لا يعرفه، فقال له الحارث: تدلني على عديّ بن ربيعة المهلهل وأنت آمن؟ فقال له المهلهل: إن دللتك على عدى فأنا آمن ولي دمي؟ قال الحارث: نعم، قال: فأنا عدي! وهذا دليل على من يحتج بأن اسمه عديا.

ــ أما عن تسميته بالمهلهل؛ فقيل فيها: إنه إنّمَا سمى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثّوْب وَهُوَ اضطرابه واختلافه، وفيه يقول الفرزدق: (ومُهَلْهِلُ الشُّعَراءِ ذاكَ الأَوَّل). ينظر في ترجمة الشاعر كلا من: ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٦)، الدار العالمية، د.ط، د.ت، طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، (٣٩/١)، دار المدني، جدة، (د.ت)، الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (٢٨٨/١) وما بعدها، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ه، معجم الشعراء: لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، (ص٢٤٨)، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

أسباب اختيار الموضوع:

بالوقوف على المادة الأدبية موضوع الدراسة والأسباب الداعية إلى اختيارها دون غيرها؛ فهي -كما قلنا- شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة، والذي تجلت فيه الأفعال الكلامية بصورة واضحة، كما لم يتناول أية بحث (على حد علمي) الأفعال الكلامية في شعر المهلهل بن ربيعة بصفة خاصة، أو حتى دراسة شعر المهلهل من منظور المنهج التداولي بصفة عامة.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على صور الفعل الكلامي في النص الشعري الذي أسلفنا ذكره، والإفصاح عن مقاصد المتكلم/ الشاعر من خلال استخدامه للأفعال الكلامية، ليس هذا فحسب، بل هو يحاول أن يلقي بظلاله على أحد أهم جوانب النظرية التداولية (تنظيرا وتطبيقا)، ويتأتى ذلك من خلال تقصي استعمال الشاعر للأفعال الكلامية وبيان مدى قدرته على توظيف الفعل الكلامي لتوجيه المتلقي إلى هدف معين، ومن خلال هذا النص الشعري يحاول الباحث أن يجيب عن سؤال مفاده: كيف تشكلت القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة؟

منهج البحث:

اعتمد البحث معطيات الدرس التداولي أساسًا للدراسة؛ وذلك لإبراز الأفعال الكلامية الكائنة في النص الشعري -موضوع الدراسة- وتحليلها للوقوف على طبيعة الفعل الكلامي في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة.

تبويب البحث:

جاء البحث في مقدمة ومبحثين، الأول منهما بعنوان: الأفعال الكلامية/ الماهية والأنواع، وثانيهما جاء بعنوان: الأفعال الكلامية/ النص والإجراء، ثم جاءت الخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويلحق بها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية / الماهية والأنواع

نشأت نظرية الأفعال الكلامية من رحم المنهج التداولي[١]، الذي أصبح مستقرا في الدرس اللغوي في العقد السابع من القرن العشرين نتيجة توجه العلماء إلى العناية بالظواهر الكلامية؛ إذ تغيرت النظرة إلى اللغة فلم يعد ينظر إليها على أنها نظام من الأدلة مستودع في أدمغة المتكلمين، بل على أنها نشاط يتحقق في وضعية خطابية تبادلية ومقيدة بقيود خاصة [٢]، ولأن التداولية تقوم على دراسة استعمال اللغة بالكيفية التي يحصل بها التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبية، فإنَّ أقرب تعريف لها هو: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم

---

(١) يعود مصطلح التداولية (Pragmatics) بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris) الذي استخدمه سنة ١٩٣٨ دالًا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمائية، وهذه الفروع هي: (علم الدلالة، وعلم التراكيب، والمقاماتية / البراجماتية)، انظر، المقاربة التداولية: تأليف: فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، (ص٢٩، ٣٠)، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، وانظر، اتجاهات البحث اللساني: مليكا إفيتش، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، (ص٣٥٢)، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠م، وانظر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: شاهر الحسن (ص ١٥٧: ١٦٣)، ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠٠١م، وانظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد نحلة، (ص٩، ١٠)، ط١، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، وانظر، التداولية من أوستن إلى غوفمان: فليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، (ص١٧: ٢٠)، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ٢٠٠٧م، وانظر، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلها في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، (ص٦٥)، ط١، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

(٢) انظر، مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي، (ص١٥٨)، ط٢، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠م.

وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"(١)

ويتفق الباحثون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب، هي: الإشارة deixis، والافتراض السابق presupposition، والاستلزام الحواري conversational implicature، والأفعال الكلامية speech acts، "ويقع مفهوم الأفعال الكلامية في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصور المعاصرين ويشكل جزءا أساسيا من بنيته النظرية"(٢)

وتستأثر الأفعال الكلامية باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطا أساسيا لاكتساب اللغة، ونقاد الأدب يرون فيها إضاءة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة وما تحدثه من تأثير في المتلقي، واللغويون يجدون فيها حلولا لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وتعليم اللغة الثانية، أما في الدرس التداولي فإن الأفعال الكلامية تظل واحدا من أهم المجالات فيه.(٣)

ومن الجدير بالذكر أن هذه النظرية عرفت حضورا في تراثنا البلاغي واللغوي من خلال ما قدمه علماؤنا العرب القدامى في حديثهم عن المعنى، وتطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء، وإن لم يسموا المصطلح بشكل مباشر إلا أنهم تطرقوا لمختلف مجالاته.(٤)

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص١٤).

(٢) التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): د. مسعود صحراوي، (ص٥)، ط١، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

(٣) انظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٤٠).

(٤) انظر، التداولية عند العلماء العرب، (ص٥٠).

ومع بزوغ العقد السابع من القرن العشرين ظهرت هذه النظرية كنظرية مستقلة واضحة المعالم، عندما قال فيلسوف اللغة (أوستين): إننا نقوم بعمل ما أو فعل ما أو حدث ما، عندما نقول شيئا ما. وقد عرض أوستين نظريته في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات).[١]

وفي هذا السياق يرى جورج يول أنه "عند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم فإنهم لا ينشؤون ألفاظا تحوي بنى نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ ....، تعرف الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ عموما بأفعال الكلام"[٢]، ولذلك فالفعل الكلامي عنده فعل إنجازي يتحقق عبر إنشاء مجموعة من الألفاظ، ويتحدد وفقا لنية (قصد) المتكلم التواصلية.[٣]

وبذلك يمكن القول إن الفعل الكلامي هو فعل تفاعلي ينقل اللغة من وظيفة التعبير اللفظي إلى وظيفة الإنجاز "فالفعل الكلامي عبارة عن أداء لفعل معين كأن يكون أمرا بضرورة القيام بعمل ما أو وعدا بإنجاز عمل آخر، أو حكما لفعل معين بحالة شعورية تجد طريقتها التجسيد اللساني"[٤]

وقد ميز (أوستين) في بداية نظريته بين نوعين من الأفعال:[٥]

---

(١) انظر، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص١١٥).

(٢) التداولية: جورج يول، ترجمة: د. قصي مهدي العتابي، (ص٨١)، ط١، دار الأمان، الرباط، المغرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ١٤٣١/ ٢٠١٠م.

(٣) انظر، السابق، (ص ٨٢).

(٤) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية): د. نعمان بوقرة، (ص٨٩، ٩٠)، ط١، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٩م.

(٥) وقد أفرد أوستين للتمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية بحثا كتبه بالفرنسية، وألقاه في مؤتمر أنجلو فرنسي سنة ١٩٥٨م، ثم ترجمه بعد (وورنوك) إلى الإنجليزية، ونشره بعد ذلك سيرل في كتابه (فلسفة اللغة) الذي صدر سنة ١٩٧١، انظر، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية: د. محمود أحمد نحلة، ص١٦٢، مجلة الدراسات اللغوية مج١ ع١ (محرم – ربيع الأول ١٤٢٠/ أبريل – يونيو ١٩٩٩م).

النوع الأول: الأفعال الوصفية: وهي تلك الأقوال التي تصف حالا معينة لشيء أو شخص، وقد سماها النحاة العرب بالأساليب الخبرية، ومن خصائصها أنها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ.

النوع الثاني: الأفعال الإنجازية (الأدائية): وهي لا تصف ولا تخبر، وغير خاضعة لمعيار التصويب، ولكن ميزتها الأساسية أن التلفظ فيها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وتقابل في العربية ما يسمى بالأساليب الإنشائية.

ومع تطور النظرية رأى (أوستين) أن الفعل الكلامي فعل مركب من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا، وهي تُؤَدَّى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه الفعل الكلامي، ومن ثَمَّ فالأفعال الكلامية (وفقا لوجهة نظر أوستين) ثلاثة أنواع:(١)

أ.فعل القول (أو الفعل اللغوي): ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. ولكن أوستين يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة. فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بـ (أنها ستمطر)، أم تحذير من (عواقب الخروج في الرحلة)، أم (أمر بحمل مظلة) أم غير ذلك ... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه

(١) انظر، التداولية عند العلماء العرب، (ص٤١، ٤٢).

من الكلام. ويرى أوستين أنه "لكي ننجز فعلا كلاميا وجب أن أودي فعلا صوتيا"[١]

ب. الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الكامنة خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة ... إلخ، ويرى فان دايك أن مفهوم الفعل الإنجازي يؤخذ من مفهوم الحدث الذي يرتبط معه في علاقة وثيقة.[٢]

ج.الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري): ويقصد به أوستين أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة بمقاصد معينة في سياق محدد، تحدث أثرا عند المتلقي أو المستمع. كأن "نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على احساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته، كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم، وغيره من الأشخاص الآخرين، وقد يقع أن نتعمد إحداث هذه الآثار والنتائج واللوازم عن قصد ونية أو غرض ما"[٣]

ولكن ما قدمه أوستن لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريا لهذه النظرية، حتى جاء (سيرل) فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها،

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص١١٦).

(٢) انظر، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان دايك، ترجمة: عبد القادر قينيني، (ص٢٢٨)، ط١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص١٢١).

وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عن نظرية (سيرل) في الأفعال الكلامية بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستن، ويمكن أن نوجز القول في أهم ما جاء به (سيرل) على النحو الآتي:(١)

١.نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة.(٢)، والقوة الإنجازية هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق.(٣)، لذا فهي "خصيصة المنطوقات لا الجمل؛ فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة، في ملابسات استعمال مختلفة"(٤)، ومن ناحية أخرى يرى سيرل أن القوة جزء من المعنى، وأن المعنى يعين قوة بعينها. إن قوة المنطوق الإنجازية جزء مكمل لمعناه، بالمفهوم الدلالي، وهذا يعني أن المعنى أوسع من القوة، لأنه يضم القوة والمحتوى القضوي في آن معا.(٥)

(١) انظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٤٧) وما بعدها.

(٢) انظر، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي: أحمد المتوكل، (ص١٠٩)، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

(٣) انظر، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب: د. محمد العبد، (ص١٣٧)، مجلة فصول، العدد ٦٥، يناير ٢٠٠٥م.

(٤) تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب: د. محمد العبد، (ص١٣٧).

(٥) انظر، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب: د. محمد العبد، (ص١٤١).

٢.الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف الاجتماعي.

٣.استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي: يكون ما يقوله المتكلم مطابقا لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

٤.قدم (سيرل) تصنيفا جديدا بديلا لما قدمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على خمسة أسس منهجية هي: التقريريات – الوعديات – التوجيهيات (الطلبيات) – الإيقاعيات – البوحيات

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية / النص والإجراء

لقد اعتمد البحث تصنيف الأفعال الكلامية الذي قدمه (سيرل)، والذي يقوم على خمسة أسس منهجية -كما ذكرنا في نهاية المبحث الأول- هي: (التقريريات، والوعديات، والتوجيهيات، والإيقاعيات، والبوحيات)، ليحاول أن يكشف من خلالها عن القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في رثاء المهلهل بن ربيعة لأخيه كليب، من خلال الوقوف على مؤشرات السياق والمعلومات السياقية والمقامية التي يتضمنها كل فعل لغوي؛ إذ إنه في "حالات كثيرة لا يحسم أي إنجاز محدد قد تم بوجه عام إلا بناء على معلومات سياقية"(١)

أولا: التقريريات: والغرض منها هو الغرض التقريري، ويتعهد المتكلم فيها أن محتوى التَّفَوُّه حقيقي وأن كلماته تطابق العالم الخارجي، والشرط الأساسي فيها هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد.(٢)، ويصرح سيرل: أن أبسط اختبار للتقريريات هو ... هل يمكن وصفها ... بالصادقة والكاذبة أم لا.(٣)

(١) التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن بحيري، (ص١١٧)، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) انظر، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب سيد هاشم الطبطبائي، (ص٣٠)، وانظر، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: جون سيرل، (ص١٥٣).

(٣) انظر، نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٣).

وعند تتبع المسار الدلالي لشعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة، ورصد تلك الأفعال نلحظ أنه لا يخلو من الأفعال التقريرية المثبتة لبعض الحقائق وأهمها: (مقتل أخيه كليب) فتذهب أغلب الروايات التي تناولت سيرة المهلهل إلى أن أهم حدث ملأ عليه حياته هو موت أخيه مقتولا، فعاش على إثره مهموما حزينا، وظل في شعره بعد هذه الرزيئة يلهج بذكره بعد أن كانت حياته حياة ترف ولهو ومعاقرة خمر ومجالسة نساء؛ لذا جاءت الأفعال التقريرية لتصف تلك الواقعة وما استتبعها من حزن وحسرة وتأبين ومديح وتهديد ووعيد بالحرب، ويتضح ذلك في قوله:(١)

قَتيلٌ ما قَتيلُ المَرءِ عَمروٍ وَجَسّاسِ بنِ مُرَّةَ ذي صَريمِ

أَصابَ فُؤادَهُ بِأَصَمَّ لَدنٍ فَلَم يَعطِف هُناكَ عَلى حَميمِ

فَإِنَّ غَداً وَبَعدَ غَدٍ لَوَهنٌ لِأَمرٍ ما يُقامُ لَهُ عَظيمِ

جَسيماً ما بَكَيتُ بِهِ كُلَيباً إِذا ذُكِرَ الفِعالُ مِنَ الجَسيمِ

سَأَشرَبُ كَأسَها صِرفاً وَأَسقي بِكَأسٍ غَيرِ مُنطِقَةٍ مُليمِ

فالمتأمل في الأبيات السابقة يجد أن الشاعر قد أسس للفعل التقريري الدال على القضية التي يدور حولها جل شعره وهي مقتل أخيه كليب. إن هذه الواقعة –موت كليب– غيرت عليه عالمه ولم تعد الدنيا عنده كما كانت وإنما أصبحت بلا قيمة حينما نعي له أخوه وهو ما يقرره بقوله:(٢)

كُلَيبُ لا خَيرَ في الدُنيا وَمَن فيها إِن أَنتَ خَلَّيتَها في مَن يُخَلّيها

كُلَيبُ أَيُّ فَتىً عِزٍّ وَمَكرُمَةٍ تَحتَ السَفاسِفِ إِذ يَعلوكَ سافيها

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٠).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٤٣).

نَعى النُعاةُ كُلَيباً لي فَقُلتُ لَهُم مادَت بِنا الأَرضُ أَم مادَت رَواسيها
لَيتَ السَماءَ عَلى مَن تَحتَها وَقَعَت وَحالَتِ الأَرضُ فَانجابَت بِمَن فيها
أَضحَت مَنازِلُ بِالسُلّانِ قَد دَرَسَت تَبكي كُلَيباً وَلَم تَفزَع أَقاصيها

ومن خلال الأبيات السابقة استطاع الشاعر إنجاز تلك الأفال التقريرية التي تعطي معلومات عن تلك الواقعة فتمنح المتلقي المعلومات الكافية لقراءة مشاهد الحزن والحسرة والألم والتأبين والمديح والتهديد والوعيد بالحرب، التي سيطرت على جل شعره، ويظهر ذلك في قوله:(١)

أن في الصدر من كُلَيْب شجونا هَاجِسَاتٍ نَكَأْنَ مِنْهُ الْجِرَاحَا
أَنْكَرَتْنِي حَلِيلَتِي إِذْ رَأَتْنِي كاسفَ اللونِ لاَ أطيقُ المزاحا
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذْ أُرَجِلُ رَأْسِي ما أبالي الإفسادَ وَالإصلاحا
بئسَ منْ عاشَ في الحياةِ شقيا كاسفَ اللونِ هائماً ملتاحا

إن فعل الحزن الذي استخدمه الشاعر يعكس حالته النفسية ويكشف عن نفسيته المتمزقة حسرة، ويحاول من خلاله أن يُفحم المتلقي في فضاء وجداني ملؤه الحزن والانكسار، وهو ما يكسب الفعل الإنجازي قوته؛ إذ إن تفسير المتلقي جزء من إنجاز الفعل الكلامي، لذلك يرى سيرل أن القوة الإنجازية حاصل تفسير المستمع للمنطوق.(٢)

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٤).
(٢) انظر، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب: د. محمد العبد، (ص١٣٩).

كما نجد المهلهل ينجز من خلال الأفعال التقريرية فعلا إنجازيا آخر يجسد وصفا لمآثر ومفاخر أخيه كليب ومكانته فلم يكن كليب عند المهلهل بن ربيعة شخصا عاديا، وإنما كان سيدا، لذا نجده يأتي بالفعل التقريري الذي يؤكد السيادة والملك لكليب، فيصفه:(١)

سَيِّدُ سَادَاتٍ إِذَا ضَمَّهُمْ مُعْظَمُ أَمْرٍ يَوْمَ بُؤْسٍ وَضِيقْ

لَمْ يَكُ كَالسَّيِّدِ فِي قَوْمِهِ بَلْ ملكٌ دينَ لَهُ بالحقوقْ

وتكمن القوة الإنجازية لهذا الفعل السابق في تبيان سبب بكائه –عكس الصورة التقليدية للعربي الذي لا يظهر مظاهر الحزن– فهو لا يبكي شخصا عاديا لكنه سيد قومه وملكهم لذا فهو في أناته وفي كل حركاته وتصرفاته يتذكر مكارم كليب ورفعته ويؤكد بالتكرار والتقرير قيمة المرثي، وأن ليس هناك من يقوم مقامه فيقول:(٢)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا خَافَ المُغَارُ مِنَ الْمُغِيرِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا طُرِدَ اليَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إذا ما ضيمَ جارُ المستجيرِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إذا ضاقتْ رحيباتُ الصدورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا خَافَ المَخُوفُ مِنَ الثُّغُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إذا طَالَتْ مُقَاسَاةُ الأُمُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ الزَّمْهَرِيرِ

---

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٥٦).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٤٠، ٤١).

عَلَى أَنْ لَـيْسَ عَـدْلاً مِـنْ كُلَيْـبٍ إِذَا وَثَـبَ المُثَـارُ عَلَـى المُثِيـرِ
عَلَى أَنْ لَـيْسَ عَـدْلاً مِـنْ كُلَيْـبٍ إِذَا عَجَـزَ الغَنِـيُّ عَـنِ الْفَقِيـرِ
عَلَى أَنْ لَـيْسَ عَـدْلاً مِـنْ كُلَيْـبٍ إِذَا هَتَـفَ المُثَـوبُ بِالْعَشِـيرِ

وهو كذلك يرى في كليب أخيه مكسبا، أعظم وأوفر من أي مكسب فيقول:(١)

وَكُنْـتُ أَعُـدُّ قُرْبِـي مِنْـكَ رِبْحـاً إِذَا مَـا عَـدَّتِ الـرِّبْحَ التِّجَـارُ

فقرب المهلهل من أخيه هو قرب ذو قيمة وهو بالنسبة إليه مكسب لا يستهان به فشبه هذه العلاقة بالربح الذي يسعى لأجله التجار، كما كان لموت كليب وقع كبير في الأنفس، فهو سيد الناس في نظر المهلهل، وقد كانت داره منزلا للضيف، هذه الدار يوم خلت ركيزتها تهاوت كل مقوماتها، من كرم وعز وسؤدد، فهي دار تحظى بمكانة بالنسبة للشاعر فقدمها حين وردت محل فخر واعتزاز، ليس هذا فحسب فهو يخلع عليه كل الصفات التي تمجد العربي وترفع من قدره ومكانته في القبيلة، فهو عنده:(٢)

وَكُلَيْـبٍ شُـمِّ الْفَـوَارِسِ إِذْ حُـمْ مَ رَمَـاهُ الْكُمَـاةُ بِالإِتِّفَـاق

إن الجاه والمكانة حلم كان يطمح إليه الفرد الجاهلي، وكيف لا والناس كلهم آنذاك ينتشون بخمرة الفخر، فلا حياة ترجى لمن عاش خامل الذكر أو يضرب عرقه لنسب وضيع، الأمر الذي جعل من ذكر شرف المرثي ومكانته

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).
(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٥٩).

بين قومه أحد أهم الأنساق الدلالية وهذا ما يبدو جليا في رثاء المهلهل لكليب فيقول:(١)

يَـــا قَتِـــيلاً نَمَـــاهُ فَـــرْعٌ كَـــرِيمٌ فقَـــدهُ قَـــدْ أشَـــابَ منـــي المســـاحا

ونراه يخلع عليه صفات الكرم، من خلال استخدامه للأفعـــال الكلاميـــة التقريرية ليؤكد من خلالها قيمة وصفات المرثي، وذلك في قوله:(٢)

ســـــقاكَ الغيـــــثُ إنـــــكَ غيثـــــاً وَيُسْـــــراً حِـــــينَ يُلْـــــتَمَسُ الْيَسَـــــارُ

وهو كذلك:(٣)

النَّاحِرُ الْكُـــومَ مَـــا يَنْفَـــكُّ يُطْعِمُهَـــا وَالْوَاهِبُ المِئَـــةَ الْحَمْـــرَا بِرَاعِيهَـــا

كذا هو الذي يحمل صفات العفو والصفح عن الآخر والحلم، رغم بأسه وصلابته، فيقول:(٤)

وَإنـــكَ كنـــتَ تحلـــمُ عـــنْ رجـــالٍ وَتعفـــو عـــنهمُ ولَـــكَ اقتـــدارُ

وَتمنـــــعُ أنْ يمســـــهمُ لســـــانٌ مخافـــةَ مـــنْ يجيـــرُ وَلاَ يجـــارُ

تلك الأفعال التقريرية التي جسدت صورة البطل لأخيه كليب فالشـــاعر يدرك جيدا أن الذي افتقده ليس إنسانا عاديا بل هو رمز وقيمة، فهو لا يبكيه من منطلق القرابة، إنما هو رمز بالنسبة إليه، ولهذا نجده يقرر هذه الحقيقـــة ويصور هذا الجانب البطولي، ويسرد خصاله ومكارمه، ليضفي عليه الصورة المثالية، فهو –أي كليب– صاحب الشجاعة والمروءة والشهامة، فينسب له أنه

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٥).
(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).
(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٩٠).
(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).

كان يتحلى بالشرف والكرم ويحمي الذمار ويجيب المستغيث، غير طائش ولا معزال، إلى غير ذلك من صفات البطولة التي تتجسد في موقفه من القتال وجرأته وإقدامه وخبرته بالحروب، ومجابهة الأبطال، والثبات في موقف الشدة.(١)

مما سبق اتضح أن الشاعر استطاع تقديم معلومات كافية عن المرثي، وانطوت على حقيقة مهمة وهي موت أخيه كليب الذي كان ذا قيمة ومكانة في قومه، ولذلك "تقول أوركيوني: إن الكلام، بدون شك هو تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي"(٢).

ومن الجدير بالذكر أن التقريريات تسهم بشكل كبير في الوظيفة المعلوماتية للنص "فهي ترتكز على أن الأخبار تشكل موضوعات من وقائع ... يحاول الباث بنصوص ومنطوقات في عملية التواصل على نحو معين أن يؤثر في المتلقي، ولما كانت هذه الرغبة في التأثير تمثل نشاطًا موجها إلى هدف، فقد حُدّدت بشكل أدق بأنها فعل لغوي"(٣)

ثانيا: الوعديات: والغرض منها هو الغرض الوعدي، إذ يلزم المتكلم نفسه بعمل ما، ويكون الاتجاه بمطابقة العالم للكلمات، والشرط الأساسي فيها هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به، والحالة النفسية التي يعبر عنها في

---

(١) شعر الحرب في العصر الجاهلي: د. علي الجندي، (ص٢٩٢)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٨٩، د.ط.

(٢) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: عمر بلخير، (ص١٤٥)، نقلا عن: C.K.Orecchioni, Enonciation du la subjectivite dans la langage. P185. Armand, Paris.

(٣) التحليل اللغوي للنص، (ص١٠٨).

الوعد هي القصد.(١) وهكذا فإن المتكلم الذي يتلفظ بجملة بها أفعال كلامية (وعديات) يقصد في مقام أول الوعد، ويحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة المنطوق.(٢)

وتظهر الأفعال الكلامية / الوعديات في النص من خلال ثنائية الوعد والوعيد وقد نجح الشاعر، عبر ما قدمه في قصائده من أفعال كلامية، إنجاز فعل الوعد القائم على التعهد والإصرار على الأخذ بالثأر وفعل الوعيد القائم على التخويف والترهيب مما سيفعله مع قتلة أخيه، فتجد أن "المتأمل في شعره يلفيه قد جاء بالمرة في رثاء أخيه كليب ويتخلله تهديد ووعيد موجه إلى قاتليه"(٣) وكما أشرنا سلفا إلى أن أغلب الروايات التي تناولت سيرة المهلهل تذهب إلى أنَّ أهم حدث ملأ عليه حياته وغير عليه عالمه هو موت أخيه مقتولا، لذا ألزم نفسه بالثأر لأخيه وترك حياته السابقة من لهو وترف ومعاقرة خمر ومجالسة نساء، وهو يشير إلى ذلك بقوله:(٤)

خُذِ العهدَ الأكيدَ عليَّ عمري بتركي كلَّ ما حوتِ الديارُ

وَهَجْرِي الْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ وَلُبْسِي جُبَّةً لاَتُسْتَعَارُ

ولَستُ بخالعٍ درعي وَسيفي إلى أنْ يخلعَ الليلَ النهارُ

وإلاَّ أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ فَلاَ يَبْقَى لَهَا أَبَداً أَثَارُ

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٠، ٣١).

(٢) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول، جاك موشلار، (ص٣٣).

(٣) عدي بن ربيعة المهلهل: ديوانه، تحقيق: أنطوان محسن القوال، (ص١٤)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٤).

ومن ثَمَّ نجد أن الشاعر يؤكد من خلال فعل الوعد الذي ألزم به نفسه، فنراه يتمسك بأحد أشرس أعراف القبيلة -إن جازت لنا التسمية- ألا وهو الثأر لدم أخيه، وتلك عادة كان يؤمن بها المجتمع الجاهلي، فهي عادة شائعة عند العرب آنذاك، يعتقدون أنهم بهذا يرضون الميت، ويثبتون قوتهم لخصومهم، وينفون عن أنفسهم وصمة الضعف والعار من ناحية أخرى.(١)، وفي الواقع ما هو المنتظر من أمير جاهلي قتل ابن عمه؟ ثمة ثلاثة مواقف:(٢)

١. عدم الاهتمام بالأمر والانصراف إلى ذاته، وهو غير معقول.
٢. قبول الدية، وهو عار.
٣. طلب الثأر، وهو ما تقره الأعراف والتقاليد.

فأيها يختار المهلهل؟ بل أي موقف يجب أن يقفه، وهو الذي آلت إليه رئاسة قبيلته على ما يبدو؟ لذلك نجد الشاعر ينجز فعلا وعديا بأخذ الثأر، وحين يعد أخاه بأخذ ثأره من قاتليه يشير إلى أنه لن يتوانى عن هذا الأمر مهما حدث وأنه وعد لا يحيد عن تحقيقه ما لازم الليل والنهار، فيقول:(٣)

ولَستُ بخالعٍ درعي وَسيفي إلى أنْ يخلعَ الليلَ النهارُ

وانسحب هذا الفعل القولي إلى إنجاز فعل حقيقي فتشير الروايات التاريخية إلى حرب دَروس استمرت بين بكر وتغلب أربعين سنة، فالتقوا أوَل

(١) انظر، مرثاة الخنساء الإنسانية الموت، والثأر والخلود: أنور أبو سويلم، (ص١١٢)، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ٤، العدد ١، ١٩٨٦م.
(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص١٣).
(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٤).

قتال كان بينهم، في قولٍ يوم عنيزة، وهي عند فلجة، وفي ذلك يقول المهلهل:(١)

غَداةَ كَأَنَّنا وَبَني أَبينا بِجَنبِ عُنَيزَةَ رَحيا مُديرِ

فَلَولا الريحُ أُسمِعُ مِن بِحُجرٍ صَليلَ البيضِ تُقرَعُ بِالذُكورِ

كما ينجز أيضا فعل الوعيد القائم على التهديد فنراه يذهب في تهديده لبني بكر مذهبا بعيدا، بأنه لن يرضى ببديل لكليب سوى القتل والتنكيل، ويتضح ذلك الملمح في النسق الدلالي الذي يؤسس لمعاني الحرب والتهديد والوعيد، وهذا موضوع الشاعر في الأساس، وهو مقتل كليب، فنراه، يقول:(٢)

يَا لِبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً يَا لِبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ

يَا لِبَكْرٍ فَاظْعُنُوا أَوْ فَحِلُّوا صرحَ الشرُّ وَبَانَ السرارُ

إن نشر كليب وإرجاعه إلى مسرح الحياة أمر مستحيل وكأن الشاعر يسعى إلى إعجاز خصومه، وهم يدركون جيدا أنه مرهوب الجانب، فطلب الشاعر: يا لبكر أنشروا لي كليب ....، ما هو إلا حجة منه لإقامة شرعية حربهم وتقتيلهم ثم يتوعدهم بعد ذلك: يا لبكر أين أين الفرار؟ فيأتي أسلوب الاستفهام بمثابة تأكيدا لوقوع الموت، وأن إقامتهم أو رحيلهم أمر سيان لا ينجيهم مما سيحل بهم.

---

(١) انظر، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، حققه واعتنى به: د. عمر عبد السلام تدمري، (٤٨٠/١)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٤١).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٥).

وهو لا يستطيع صبرا لذا نراه يستخدم فعل الوعد مقترنا بالوعيد بأنه لن يترك دم أخيه هباء وإنما سيحدث فيهم القتل، لذا نراه يقول:(١)

كَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ قَتَلْتُمْ كُلَيْباً وَشَقيتمْ بقتلهِ في الخوالي

فَلَعَمْرِي لأَقْتُلَنَ بِكُلَيْبٍ كلَّ قيلٍ يسمى منَ الأقيالِ

وَلَعَمْرِي لَقَدْ وَطِئْتُ بَنِي بَكْرَ بما قدْ جنوهُ وطءَ النعالِ

لمْ أدعْ غيرَ أكلب وَنساءٍ وَإماءٍ حواطبٍ وَعيالِ

كما نراه يتخذ من سلوك الانتقام أساسا له متوعدا ومهددا، وقد صور الانتقام –وهو سلوك ممقوت– في صورة محببة وجميلة، بل لا مفر منه فهو كالدواء أو الشفاء، فهو جعل من تقتيل بني بكر دواء لعلته. فيقول:(٢)

فَلأَتْرُكَنَّ بِهِ قَبَائِلَ تَغْلِبٍ قتلى بكلّ قرارةٍ وَمكانِ

قتلى تعاورها النسورُ أكفها ينهشنها وَحواجلُ الغربانِ

ونجد أن هذا الفعل الوعيدي / الصوتي قد تحقق حدثا واقعيا فكما أشرنا أنه كانت ثمة حربا شرسة بين بكر وتغلب، وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام: يوم عنيزة تكافأوا فيه وتناصفوا، ثم اليوم الثاني، يوم واردات، كان لتغلب على بكر، ثم اليوم الثالث الحِنْو، كان لبكر على تغلب، ثم اليوم الرابع يوم القُصَيبات، أُصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا، ثم اليوم الخامس يوم قِضّة، وهو يوم التحالق، وشهده الحارث بن عُبَاد.(٣)

---

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧٠).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٤).

(٣) انظر، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، حققه واعتنى به: د. عمر عبد السلام تدمري، (٤٨٤/١).

ويحاول الشاعر في كل موضع من مواضع ذكره لأخيه كليب أن يثبت لنفسه القوة والغلبة والتهديد والوعيد لقبيلة بكر فنجده يقول:(١)

وَلأقتلنَّ حجاحجاً مــنْ بكــركمْ ولأَبْكِيَنَّ بِهَــا جُفُــونَ عُيُــونِ

حتى تظلَّ الحــاملاتُ مخافــةً مِنْ وَقْعِنَا يَقْــذِفْنَ كُــلَّ جَنِــينِ

ولا شك أن الأفعال الكلامية السابقة من خلال ثنائية الوعــد والوعيــد تكمن قوتها الإنجازية في قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه في الأخــذ بالثأر، والتهديد والوعيد لقاتليه بالقتل والتنكيل، إذ إنه كان يرى أن قتل كليب مبيت، وفيه إشارة إضمار العداوة والبغض، وقد تحقق هذا بالفعل من خــلال ما تشير إليه الروايات التاريخية في تلك الأيام التي التقت فيها بكــر وتغلــب ومنها يوم الذنائب وظفرت فيه تغلب، وقتلت من بكر مقتلة عظيمــة، وقُتــل شراحيل بن مُرَة بن ذهل بن شيبان، وقُتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بــن سدوس بن شيبان بن ذُهل وغيرهم من رؤساء بكــر، وكــذلك الأمــر يــوم واردات، حيث كثر القتل في بكر، فقُتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه، فمرّ مهلهل، فلما رآه قتيلا قال: والله ما قتل بعد كليب أعز عليّ منك، والله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبدا.(٢)

ويؤكد هذا –أيضا– ما ذكره ابن الأثير في قوله: "فلمــا قُتــل جســاس أرسل أبوه مرة إلى مهلهل: إنك قد أدركت ثأرك وقتلت جساسا، فاكفف عــن الحرب ودع اللجاج والإسراف، وأصلح ذات البين، فهو أصلح للحيَين وأنكــأ لعدوهم، فلم يجب إلى ذلك."(٣).

---

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٥).

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، حققه واعتنى به: د. عمر عبد السلام تدمري، (٤٨١/١).

(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، حققه واعتنى به: د. عمر عبد السلام تدمري، (٤٨٢/١).

ثالثا: التوجيهيات (الطلبيات): تقوم التوجيهيات بوصفها فعلا كلاميا على التأثير في المستمع لإنجاز فعل ما[١] والغرض منها هو الغرض الطلبي؛ إذ يحاول المتكلم فيها دفع السامع إلى فعل شيء ما، لفظي أو غير لفظي، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والشرط الأساسي فيها هو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الطلبيات هي الإرادة أو الرغبة.[٢]، وتندرج تحتها جميع صور الطلب من أوامر، وتعليمات، ونواه، ومقترحات.[٣]

وعند رصد هذا النمط من الأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة نجد حضورا مهيمنا للتراكيب الطلبية المتمثلة في الأمر بالدرجة الأولى، وهناك صيغ كثيرة لإنجاز الأمر، بشرط توفر السلطة وتوجه المنفعة تجاه المرسل، وقد ذكر العلماء من صيغ الأمر (افعل ولتفعل) وذلك عند تعريفهم للأمر، بل جعلوها لب الأمر، كما أن وجهة المنفعة هي من العناصر التي تمنح التوجيه حكما معينا، ومع أن الأمر من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الاستراتيجية التوجيهية، فقد يستعمل المرسل الاستراتيجية التوجيهية لغير الأمر، فللتوجيه وجوه كثيرة منها الندب، والتأديب والإرشاد، ... إلخ.[٤]

وقد استخدم الشاعر الأفعال الكلامية الدالة على الأمر والتوجيه والطلب وتأتي الأفعال الطلبية ليس فقط لتنجز بيان قيمة المرثي من خلال المديح من

---

(١) انظر، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: صلاح إسماعيل عبد الحق، (ص٢٣٣).

(٢) انظر، نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣١).

(٣) انظر، التداولية، (ص٩٠).

(٤) انظر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، (ص٣٤٣).

جانب واستدعاء صفات الممدوح من جانب آخر –إنما تؤكد على الأثر الذي أحدثه الفقد (فقد أخيه كليب) في حياة الشاعر وذلك في قوله:(١)

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْباً وَاعلما أنَّهُ مُلاقٍ كفاحا

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْباً وَاعْلَمَا أَنَّهُ هَائِماً مُلْتَاحَا

وهو بهذا يستحضر صفات القتيل في ذهنه ليخفف من وطأة الافتقاد؛ إذ إن الشاعر لا يفتقد من مات كصورة مادية ولا يتفقده لذاته، إنما يفتقد النموذج والمثال، يفتقد القيم التي أضحت معيارا لإثبات الذات، وهذا التصور يعد أحد مقومات الوجود في المجتمع الجاهلي، مجتمع ظل يفخر بمآثره ومقومات أفراده المتميزين، وعليه فكليب في نظر المهلهل هو صورة للشخص الكامل، كامل بقيمة الفروسية والشجاعة، والكرم، والحلم، والجود، وقد أنجز الشاعر هذه الصورة من خلال فعل الأمر (نَادِيَا – وَاعلما) وفعل النداء (يَا خَلِيلَيَّ) وهو نداء لما كان معهود في الشعر العربي القديم من صاحبين متخيلين يحاورهما الشاعر ويشاركهما الوقوف على الأطلال، كما رأيناها في صدر معلقة أمرئ القيس، وهو نداء يختزل مشاعر الألم والحرقة لفراق أخيه.

وكذا نجد الشاعر يعبر من خلال الأفعال الطلبية عن قيمة الفقيد، فنراه يشيد بكل الخصال التي كان يتمتع بها في حياته، فمثلا يقول:(٢)

أجبني يا كليبُ خلاكَ ذمٌّ ضنيناتُ النفوسِ لها مزارُ

أجبني يا كليبُ خلاكَ ذمٌّ لقدْ فجعتْ بفارسها نزارُ

سقاكَ الغيثُ إنكَ غيثاً وَيُسْراً حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٤).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).

وتكمن القوة الإنجازية لفعل الأمر الذي يستهل به الشاعر الشطر الأول من الأبيات في تأسيس نبرة ساحرة تمتاز بالعفوية والتلقائية، تنقل للمتلقي مشهد الحزن، وما يفتقده الشاعر في أخيه فقيمة الفروسية هي التي ينعاها الشاعر في أخيه وأن فقده أضحى فجيعة لا تقاس بها فجيعة أخرى، ثم يدعو له بالسقيا لأنه كان كريما.

وتتأتى -أيضا- الأفعال الطلبية بصورة الأمر لينجز من خلالها صورة الحدث الذي خيم على أرجاء قبيلته، والحزن الذي يتجلبب به نساء القبيلة، كما يجعل المتلقي يعيش المأتم الذي يصوره الشاعر، فهو لا يلوم كل باكية ونائحة على كليب لأنه أهل للبكاء، فهو موطن لكل مكرمة وجليلة، ثم لقد ظل يستبكي نساء الحي؛ إذ يريد من الكون كله أن يقيم مأتما على أخيه، إذ يقول:(١):

فَابْكِينَ سَـيِّدَ قَوْمِـهِ وَانْدُبْنَـهُ شدتْ عليـهِ قبـاطيَ الأكفـانِ

وَابكينَ للأيتـامِ لمـا أقحطـوا وَابكينَ عندَ تخـاذلِ الجيـرانِ

وَابكينَ مصرعَ جيدهِ متـزملاً بِدِمَائِـهِ فَلَـذَاكَ مَـا أَبْكَـانِي

فالتركيب اللغوي لهذه الأبيات يستجيب للظرف الواقعي الصعب الذي يعيشه الشاعر، تركيب تشغل دلالته بالتوسل من خلال الفعل ابكين، ولما كانت سلطة المرسل مساوية لسلطة المتلقي، فقد حاول المرسل تقديم ما يعضد توجيهه سعيا لالتزام المتلقي بما يصبو إليه المخاطب وبما يسعى إلى توجيهه إليه؛ إذ إنه "ليست المسألة لغوية بحتة، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لا بد أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك"(٢)

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٤).

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، (ص٣٤٢).

وكذا من خلال الأفعال الطلبية (الأمر) نراه يؤسس للفعل الإنجازي المتمثل في الاستعداد للحرب والبدء فيها لينجز ما قطعه من وعد بالثأر لأخيه، فيقول:(١)

يَا خَلِيلِي قَرِّبَا الْيَوْمَ مِنِّي كُلَّ وردٍ وَأدهمٍ صهالِ
قربا مربطَ المشهرِ مني لِكُلَيْب الَّذِي أَشَابَ قَذَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني وَاسْأَلاَنِي وَلاَ تُطِيلاَ سُؤَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني سَوْفَ تَبْدُو لَنَا ذَوَاتُ الْحِجَالِ
قربا مربطَ المشهرِ مني إنَّ قولي مطابقٌ لفعالي
قربا مربطَ المشهرِ مني لِكُلَيْبٍ فَدَاهُ عَمِّي وَخَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني لأعْتِنَاقِ الكُمَاةِ وَالأَبْطَالِ
قربا مربطَ المشهرِ مني سَوْفَ أُصْلِي نِيرَانَ آلِ بِلاَلِ
قربا مربطَ المشهرِ مني إنْ تَلاَقَتْ رِجَالُهُمْ وَرِجَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني طَالَ لَيْلِي وَأَقْصَرَتْ عُذَّالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني يَا لَبَكْرٍ وَأَيْنَ مِنْكُمْ وِصَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني لِنِضَالٍ إِذَا أَرَادُوا نِضَالِي
قربا مربطَ المشهرِ مني لقتيلٍ سفتهُ ريحُ الشمالِ
ثُمَّ قُولاَ لِكُلِّ كَهْلٍ وَنَاشٍ مِنْ بَنِي بَكْرَ جَرِّدُوا لِلْقِتَالِ

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧١، ٧٢).

قـــدْ ملكنـــاكمُ فكونـــوا عبيـــداً مَـــالَكُمْ عَـــنْ مِلاَكِنَـــا مِـــنْ مَجَـــالِ

وَخُـــذُوا حِـــذْرَكُمْ وَشُـــدُّوا وَجِـــدُّوا وَاصـــبروا للنـــزالِ بعـــدَ النـــزالِ

وتتمثل القوة الإنجازية لهذه الأفعال الطلبية السابقة (قربا مربطَ المشهرِ – ثُمَّ قُولاَ لِكُلِّ كَهْلٍ وَنَاشٍ مِنْ بَنِي بَكْرَ جَرِّدُوا لِلْقِتَالِ – فكونوا عبيداً – وَخُذُوا حِذْرَكُمْ – وَشُدُّوا – وَجِدُّوا– وَاصبروا للنزالِ) في التهديد بالحرب والاستعداد لها حيث تكرار فعل الأمر (قربا مربط المشهر مني) وكأنه بهذا يخوض حربا نفسية قبل البدء في الحرب القتالية، كما أنها رسالة لأعدائه بأنه قـــادر علـــى الحرب والقتال والوفاء بما ألزم به نفسه وتعهد به.

كما يستخدم الشاعر –أيضا– الفعل الطلبي الدال بصيغة الأمر لبيان هذه الحالة النفسية التي سيطرت عليه من خلال الليل الذي تعتمل فيه كل الهواجس ويختزل كل مشاعر الحزن في ردائه الأسود ووصفه لتلك الليلة الرهيبة التي أخذت منه كل مأخذ بذي حسم في وادي الذنائب وهو قابع وعاكف على قبـــر أخيه، يذرف الدموع من الحزن، لذا نراه يحاول إنجاز الفعل الطلبي ليستجدي تلك الليلة حتى ترحل ولا تعود، وقد تمثل الفعل الطلبي في قوله (أنيري / لا تحوري)، فيقول:[١]

أليلتنـــا بـــذي حســـمٍ أنيـــري إذا أنتِ انقضيتِ فـــلاَ تحـــوري

وقد خرج الأمر هنا عن دلالته الأصلية إلى دلالة أخرى هي الالتماس، إذ إن "الأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب، وقد يـــأتي لمعان أُخر على سبيل المجاز، تفهم من المقام، ومنها: الالتماس"[٢]

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٥).

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، (ص١٤).

وكما استعمل الشاعر أفعال الأمر كذا استعمل أفعال النهي وكما هو معروف أن للنهي حرفا واحدا وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر؛ فأصل استعمال: (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء[١]، وقد استخدم الشاعر فعل النهي لإنجاز قصديته مستخدما الفعل الطلبي التوجيهي الدال على النهي في قوله (لا تمل)، وذلك في قوله:[٢]

لاَ تَمَلَّ الْقِتَالَ يا ابْنَ عُبَادٍ صبرِ النفسَ إنني غيرُ سالِ

وهو بهذا يؤدي قوة إنجازية تُوَجِّهُ المتكلم إلى ضرورة القتال وعدم ترك هذا الأمر؛ على سبيل الالتماس والإنكار؛ إذ إن "الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم، وقد يأتي لمعان أُخر، تفهم من المقام، ومنها: الالتماس: كقولك للمساوي: لا تفعل"[٣]،

ولا ينحصر النهي في صيغته المعروفة، ولكن يتجاوزها إلى صيغ أخرى منها أيضا الكف على سبيل الاستعلاء، ومن ذلك قول المهلهل:[٤]

قربا مربطَ المشهرِ مني وَاسْأَلاَنِي وَلاَ تُطِيلاَ سُؤَالِي

فالشاعر هنا قد أسس للفعل الإنجازي المتمثل في الاستعداد للحرب والبدء فيها لينجز ما قطعه من وعد بالثأر لأخيه، وأن هذا الأمر قد أخذه على عاتقه ولن يتراجع عنه، وقد استخدم فعل النهي (لا تطيلا سؤالي) لصاحبيه، لإنجاز قصديته لأنه عقد العزم ولن يثنيه شيء عن هذا الأمر.

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي أبي يعقوب يوسف بن بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ص٣٢٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧١).

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، (ص١٥).

(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧١).

وفي سياق آخر نجد الشاعر يستخدم فعل النهي في قوله (لا تجهل)، لتغيير نظرة المخاطب (الحارث بن عباد)، مؤكدا على قوة قومه ومكانة قبيلته، وأنها لا تساويهم فيها قبيلة فيقول:(١)

يَا حَارِ لاَ تَجْهَلْ عَلَى أَشْيَاخِنا إنا ذوو السوراتِ وَالأحلامِ

وتكمن القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي في أنه يُعَدُّ تغييرا لتفكير المستمع مؤكدا على قوة قومه ومكانة قبيلته ليدرك إصرار المتكلم على خوض غمار هذه الحرب، وهذا يؤدي لا شك إلى نجاح العملية التواصلية؛ إذ إن نجاح العملية التواصلية "يتطلب أن يستعمل طرفا عملية التواصل –المرسل والمستقبل– نفس السنن، وأن توظف العلامة اللغوية في سياقها أو مقامها"(٢)

ومن خلال استخدام الأفعال الطلبية (الأمر والنهي)؛ استطاع الشاعر أن ينجز قصديته وأن يؤكد للمخاطب عليها، إذ إن "وقوع الأمر والنهي بالفعل يعود إلى كونهما عملين يقومان على تزجية المخاطب إلى أمر لإنفاذه وأدائه في الكون الخارجي."(٣)

ويدخل النداء أيضا ضمن الأفعال الدالة على الطلب، فهو فعل توجيهي طلبي، بوصفه أحد الأساليب المؤثرة في استمالة المتلقي؛ لينجز فعلا ما(٤) فنراه، فيقول:(٥)

أَكُلَيْبُ إِنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُخْمِدَتْ وَنَسيتُ بعدكَ طيباتِ المجلسِ

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧٨).

(٢) السيميائية وفلسفة اللغة: أمبرتو إيكو، (ص١٧).

(٣) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية): د. خالد ميلاد، (ص١٣٢).

(٤) استراتيجيات الخطاب: (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي ظافر الشهري، (ص٣٦٠).

(٥) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٤٦).

أَكُلَيْبُ مَنْ يَحْمِي العَشِيرَةَ كُلَّهَـا أوْ منْ يكرُّ على الخميسِ الأشـوسِ

مَنْ لِلأَرَامِلِ وَاليْتَـامَى وَالْحِمَـى وَالسَّيْفِ وَالـرُّمْحِ الـدَّقيق الأَمْلَـسِ

لقد عبر الشاعر عن مقصده عبر فعل كلامي توجيهي مباشـر –هـو النداء– الذي يستدعي تأثيرا واضحا في المتلقي؛ لأنه لا يـؤتى بـه لمجـرد الانتباه والاصغاء فحسب، بل يؤتى به لتنفيذ فعل إنجازي ما مـن طريقـه(١) وتكمن قوته الإنجازية في رسم لوحة تجمع كل صفات الخير والقوة والشجاعة والعطاء لكن تظل مكرمة الشجاعة والبطولة بمثابة المعين الذي لا ينضـب، تستلهم منه بنية المديح كل المعاني التي تساهم في رسم صورة الفقيد، إذ هـو السند المعول عليه في القبيلة إذا اعتدى عليها، فالأرملة التي فقدت بعلهـا لا ترى غيره مجيرا لها، وكذا اليتيم هو الآخر ينظر إليه بعين الأبوة.

وكذا يحاول الشاعر من خلال فعل النداء أن يلتمس صورة أخيه، فهـو أمامه في كل حركاته وسكناته، ولكنه نداء فقط لاستدعاء صورة أخيـه فـي مخيلته، فنراه يقول:(٢)

دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْـبُ فَلَـمْ تُجِبْنِـي وَكيفَ يجيبنـي البلـدُ القفـارُ

فاستجابة كليب لدعائه أمر ميؤوس منه، ويتجلى ذلك في قوله: وكيـف يجيبني البلد القفار، إلا أن صورة أخيه تظل مرسومة في مخيلته، يعز عليـه نسيان طيفه، فيستخدم أداة النداء (يا) التي استخدمها هنا لنداء القريـب، أمـا وجه الدلالة في استعماله للقريب، فيتضح من سـعة الاسـتعمال وخصـوبة المعاني، حيث ذكر البيانيون أن ذلك إما يكون مجازا مرسلا وإمـا اسـتعارة

(١) أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية): مثنى كاظم صادق، (ص١٥١)، منشورات الضفاف، ٢٠١٥م.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).

تصريحية أو مكنية، فهذه الوجوه تظهر البنية العميقة وراء استعمال (يا) للقريب[١]، فيقول:[٢]

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْباً وَاعلما أنهُ ملاق كفاحا

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْباً وَاعْلَمَا أَنَّهُ هَائِماً مُلْتَاحَا

وتتغير بنية النداء التداولية في خطاب المهلهل من مقام إلى مقام آخر، إذ إن المنادى يتحكم في إنتاج المقصد لدى المتلقي، فنداؤه لكليب يكون منبعثا من أغوار أدغال حزينة حسب السياق. ولما لم يظفر الشاعر بما يصبو إليه من ندائه لأخيه يحاول أن ينادي على أعدائه مستخدما سلسلة من الأفعال الكلامية التي حملت قوة إنجازية فيها التهديد والوعيد لقتلته، فيقول:[٣]

يَا لِبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً يَا لِبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ

يَا لِبَكْرٍ فَاظْعُنُوا أَوْ فَحِلُّوا صرحَ الشرُّ وَبَانَ السرارُ

فقد استخدم الشاعر النداء بدلالته التوجيهية وقد انجز هذا الفعل بقوتين، مباشرة دلت عليه الدلالة الحرفية المتمثلة بالنداء، وقوة مستلزمة هي التهديد. فالالتفات من المنادى كليب إلى المنادى بكر سببه السياق العام وهو التهديد والوعيد، وتكراره دليل على كراهيته لهم والأحقاد التي يكنها لهم في صدره.

(١) انظر، مجازات النداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآني، ظافر بن غرمان العمري، (ص١٦٩)، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع٦، ذو الحجة ١٤٢٩ه.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٤).

(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٥).

وكذلك نجد النداء في شعر المهلهل يتحول من صرخة ملؤها الحـــزن، إلى أخرى تحمل في ثناياها الحنق على العدو والرغبة في إبادته مـــن علـــى وجه البسيطة، وفي هذا السياق يقول:(١)

يا أيها الجـــاني علـــى قومـــهِ ما لمْ يكنْ كـــانَ لـــهُ بـــالخليقْ

فهو لم يسم المنادى هنا رغم أنه معروف بالنسبة له، ونـــداؤه بالجـــاني لجلي وواضح أنه يعاف حتى ذكر اسمه لشدة بغضه له، كيف لا وهو قاتـــل أخيه؟ وينادي قومه لنصرته في قتال بني بكر، فيقول:(٢)

يَـــا لَقَـــوْمِي لِلَوْعَـــةِ الْبَلْبَـــالِ وَلَقتـــلِ الكمـــاةِ وَالأبطـــالِ

مما سبق يتضح أن أسلوب النداء –بوصفه فعلا كلاميا من جملة الأفعال الكلامية الدالة على الطلب– قد حمل قوة إنجازية استطاع الملفوظ النصي من خلالها أن يتحكم في إنتاج المقصد لدى المتلقي.

وكذا يأتي (أسلوب الاستفهام) –في شعر المهلهل بن ربيعـــة– بوصـــفه واحدا من الطلبيات بغرض الإجابة عن شيء ما أو على حد تعبيـــر القـــدماء "لطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكمـــا بشيء على شيء أو لا يكون"(٣)، وقد جاءت الأشكال التعبيرية الاستفهامية في شعر المهلهل موزعة عبر الأنساق الدلالية المختلفة من حزن وندب وتـــأبين وتهديد ووعيد أو غيرها، فالاستفهام إذا لم يأت على حقيقته تولدت منه معان

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٥٣).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٦٣).

(٣) انظر: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ص٤١٤)، التعريفات: الجرجاني على بن محمد الشريف، (ص١٨)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ١٩٦٩م.

مجازية تتأتى من خلال السياق[١]، ومن أشكال الاستفهام في شعر المهلهل، قوله:[٢]

أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا جبانُ القومِ أنجاهُ الفرارُ

أتغدُو يا كليب معي إذا ما خلوق القوم يشحذُها الشفار

إن الهمزة هي الأداة الرئيسية لبناء الاستفهام، فهي عند النحاة أم الأسلوب وسلطتها على الفعل تتمركز في زرع الشك على محيط دائرة (أفعلت هذا؟)[٣]، ولقد عكست همزة الاستفهام في قوله: أتغدو يا كليب فعلا إنجازيا خاصا يتمثل في الالتماس وطلب المرافقة في الحرب، فلم ينشئ الشاعر هذا الاستفهام بغرض إنجاز السؤال وانتظار الإجابة، لكنه يلتمس من أخيه مرافقته للحرب في مشهد حواري يوضح عدم تقبله الوضع الجديد المتمثل في مفارقة كليب لمسرح الحياة، وكأن الشاعر لم يصدق هذا الواقع، ومما يأجج من شدة الأمر تكرار الاستفهام.

وفي سياق إنجاز استعظام المرثي يستخدم الشاعر -أيضا- أداة الاستفهام (من) مستنكرا للفت انتباه المخاطب، ويسأل أهل القبيلة: من يقوم مقامه في حماية القبيلة وإدارة شؤونها؟ فنراه يقول:[٤]

أَكُلَيْبُ مَنْ يَحْمِي العَشِيرَةَ كُلَّهَا أوْ منْ يكرُّ على الخميسِ الأشوسِ

مَنْ لِلأَرَامِلِ وَاليْتَامَى وَالْحِمَى وَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ الدَّقيق الأَمْلَسِ

---

(١) انظر: المطول، التفتازاني سعد الدين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ص٥٣ وما بعدها)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م..

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٣).

(٣) البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، (ص ٢٨٥).

(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٤٦).

وهو استفهام ينجز من خلاله ثقل المسؤولية وفداحة الفراغ الذي خلفه المرثي بعد موته، إذ تحتدم المشاعر عبر التساؤل. كما أنه استفهام يثير الحزن، ويثير الخوف أيضا؛ الخوف من الوحدة وغياب السند، ثم هو يسرف أيضا من اسم الاستفهام مَنْ عندما يتعلق الأمر بكليب مستنكرا أن يكون له ند في القبيلة، فيقول:(١)

فَتَرَى الْكَوَاعِبَ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِلاً إِذْ حانَ مصرعهُ منَ الأكفانِ

وَيقلنَ منْ للمستضيق إذا دعا أمْ منْ لخضبِ عوالي المرانِ

أمْ منْ لأسباق الدياتِ وَجمعها وَلِفَادِحَاتِ نَوَائِبِ الْحِدْثَانِ

ومن أمثلة استخدام الشاعر لأدوات الاستفهام كذلك، استخدامه لأداة الاستفهام (كيف)، وهي أداة يطلب بها تعيين الحال، ولقد جاءت الأفعال القولية بالاستفهام بـ(كيف) لتنجز فعلا كلاميا كامنا خلف المعنى الأصلي، وهو الحزن والندب والتأبين، ومن أمثلة ذلك، قول المهلهل:(٢)

كيفَ أمدي وَلاَ يزالُ قتيلٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ يُنَادِي قَتِيلاً

كيفَ أنساكَ يا كليبُ ولَما أَقْضِ حُزْناً يَنُوبُنِي وَغَلِيلاَ

كَيْفَ يَبْكِي الطُّلُولَ مَنْ هُوَ رَهْنٌ بطعانِ الأنامِ جيلاً فجيلاَ

فلقد جاءت الأداة كيف لتعري نفسا متهالكة ظلت محتمية بسند قوي أفل وغاب مخلفا وراءه خواء يصعب ملؤه، وكذلك أيضا يستخدم المهلهل أداة الاستفهام (كيف)، في قوله:(٣)

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٣، ٨٤).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٦٢، ٦٣).

(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧٠).

كَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ قَتَلْتُمْ كُلَيْباً وَشقيتمْ بقتلهِ في الخوالي

فالشاعر هنا من خلال الفعل القولي الاستفهامي ينجز فعلا كلاميا يترجم من خلاله صعوبة الصبر، فالصبر عنده مطلب عزيز لا يستطيع أن يوطن نفسه عليه، والصبر حال من الأحوال التي تعرض للإنسان في حياته، وهذا ما فرض عليه الاستفهام الإنكاري بالأداة (كيف).

مما سبق يتضح أن الأساليب الاستفهامية في معظمها تضمنت كليبا كمحور أساس في بنائها وأنها جاءت في جلها، إما لتعظيم شخص كليب ضمن التأبين وإما للحزن عليه والندب الأمر الذي يمكننا من القول بأن الأساليب الاستفهامية في شعر المهلهل جاءت لخدمة سياق الرثاء في شتى الأنساق الدلالية (الحزن والندب والتأبين).

رابعا: الإيقاعيات: الغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح، فهي أفعال يتغير العالم بعد النطق بها؛ إذ يغير المتكلم فيها ظرفا أو موقفا خارجيا بمجرد التفوه بها، ولا يوجد شرط أساسي لها، أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الإيقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل ناجحا والرغبة في وقوعه ناجحا، وهي تتطلب مؤسسات غير لغوية تمتلك السلطة لتحدد قواعد استعمالها.[١]

ومن الأنماط التعبيرية التي تشير إلى وقوع الإيقاعيات اتخاذ القرار؛ إذ إن الشاعر قد اتخذ قرارا بترك حياته السابقة التي كان يملؤها اللهو والترف إلى حياة أخرى يغشاها الحزن والحسرة والألم وطلب الثأر لأخيه، وهذا ما ألزم نفسه به كما أشرنا سلفا، ويتضح هذا النمط في قوله:[٢]

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣١، ٣٢).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٤).

خذِ العهدَ الأكيدَ عليَّ عمري بتركي كلَّ ما حوتِ الديارُ
وَهَجْرِي الْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ ولُبْسِي جُبَّةً لاَتُسْتَعَارُ
ولَستُ بخالعٍ درعي وَسيفي إلى أنْ يخلعَ الليلَ النهارُ
وإلاَّ أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ فَلاَ يَبْقَى لَهَا أَبَداً أَثَارُ

فنجد الشاعر يؤكد من خلال فعل الكلام فعلا إنجازيا (إيقاعيا) متمثلا في اتخاذ قرار هجر حياته السابقة وطلب الثأر لأخيه كليب –وهو بذلك يتمسك بتقاليد وأعراف المجتمع الجاهلي– وهي عادة شائعة عند العرب آنذاك، يعتقدون أنهم بهذا يرضون الميت، ويثبتون قوتهم لخصومهم، وينفون عن أنفسهم وصمة الضعف والعار من ناحية أخرى.

وكذا نراه يؤكد على قراره الذي ألزم نفسه به بأنه سيثأر لأخيه ولن يترك دمه يضيع هباء منثورا، وإنما سيأخذ قتلته ولن يبقي منهم أحدا، فنراه يقول:(١)

كَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ قَتَلْتُمْ كُلَيْباً وَشقيتمْ بقتلهِ في الخوالي
فَلَعَمْرِي لأَقْتُلَنَ بِكُلَيْبٍ كلَّ قيلٍ يسمى منَ الأقيالِ
ولَعَمْرِي لَقَدْ وَطِئْتُ بَنِي بَكْرَ بما قدْ جنوهُ وطءَ النعالِ
لمْ أدعْ غيرَ أكلبٍ ونَساءٍ وَإماءٍ حواطبٍ وَعيالِ

ولا شك أن الأفعال الكلامية (الإيقاعيات) قد أدت إلى تحقيق الفعل الإنجازي حيث اتخذ الشاعر قرارا في الأخذ بالثأر وإلزام نفسه به، والتهديد والوعيد لقاتليه بالقتل والتنكيل، فكما أشرنا أنها أفعالا يتغير العالم بعد النطق

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٧٠).

بها؛ إذ يغير المتكلم فيها ظرفا أو موقفا خارجيا بمجرد التفوه بها، ولا يوجد شرط أساسي لها، أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الإيقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل ناجحا والرغبة في وقوعه ناجحا.

خامسا: البوحيات: الغرض من البوحيات هو التعبير عن موقف حيال واقعة ما أو قضية معينة؛ إذ يعبر المتكلم فيها عن موقفه تجاه حالة معينة يحددها، والشرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي؛ إذ إن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها.(١)

وقد عبر الشاعر عن حالته النفسية تجاه مقتل (كليب)، من خلال فعل الحزن الذي يعكس الحالة النفسية التي انتابت الشاعر ومظاهر الحزن التي سيطرت عليه، وقد ظهر هذا الفعل بشكل واضح في قصيدته الرثائية؛ إذ إن الحزن يأتي وليدا لقصيدة الرثاء؛ فلا يمكن تصور قصيدة رثائية بدون حزن وبكاء وتفجع على المرثي، ومن مظاهر ذلك في شعر المهلهل، قوله:(٢)

أن في الصدر من كُلَيْب شجونا هَاجِسَاتٍ نَكَأْنَ مِنْهُ الْجِرَاحَا

أَنْكَرَتْنِي حَلِيلَتِي إِذْ رَأَتْنِي كاسفَ اللونِ لاَ أطيقُ المزاحا

ولَقَدْ كُنْتُ إِذْ أُرَجِلُ رَأْسِي ما أبالي الإفسادَ وَالإصلاحا

بئسَ منْ عاشَ في الحياةِ شقيا كاسفَ اللونِ هائماً ملتاحا

ومن مظاهر فعل الحزن أن صار الليل عنده فضاء زمنيا تعتمل فيه كل الهواجس ويختزل كل مشاعر الحزن في ردائه الأسود وذلك حين يقول إن هيجان الانفعال وجزع النفس حتى تكاد تنفطر لواضح وجلي، وذلك عبر

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٢، ٣٣).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٤).

أيقونة الدموع ومشهد انحدارها بغزارة، فنراه يؤكد ذلك بالفعل الخبـــري ذي الضرب التأكيدي والإقراري، فيقول: (١)

أَهَـــاجَ قَـــذَاءَ عَيْنِـــي الإِذِّكَـــارُ هُدُوّاً فَالـــدُّمُوعُ لَهَـــا انْحِـــدَارُ

وَصَارَ اللَّيْـــلُ مُشْـــتَمِلاً عَلَيْنَـــا كأنَّ الليـــلَ لـــيسَ لـــهُ نهـــارُ

وَبِتُّ أُرَاقِـــبُ الْجَـــوْزَاءَ حَتَّـــى تقاربَ منْ أوائلهـــا انحـــدارُ

أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِـــي إِثْـــرِ قَـــوْمٍ تَبَايَنَـــتِ الْـــبِلاَدُ بِهِـــمْ فَغَـــارُوا

وَأبكـــي وَالنجـــومُ مطلعـــاتٌ كأنْ لمْ تحوهـــا عنـــي البحـــارُ

عَلَى مَنْ لَوْ نُعيت وكَـــانَ حَيّـــاً لَقَادَ الخَيْـــلَ يَحْجُبُهَـــا الغُبَـــارُ

دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْـــبُ فَلَـــمْ تُجِبْنِـــي وكيفَ يجيبنـــي البلـــدُ القفـــارُ

إن ليل الجوزاء هو ليل طويل في ثقافة العرب، وهنا يصبح الليل هـــو الحزن والحزن هو الليل؛ لذا نراه لا يرحب بالليل كعادته لأنه رهـــين زمـــن أصبح فيه مشغول النفس عن اللهو، فقد كان يستقصر الليل في الماضي، لكنه الآن طريد أحزان ذلك الليل الطويل.(٢)

وما زال الشاعر يقرر تبعات حالة الحزن التي انتابته بعد موت (كليب) -عكس الصورة التقليدية للعربي الذي لا يظهر مشاعر الحزن- ومنها حالـــة

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣١).

(٢) والجوزاء تعدّ في الكواكب اليمانية، وهي تسمّى (الجبّار) تشبيها لها بالملك. لأنها في صورة رَجل على كرسي عليه تاج، وللتفصيل، انظر: الأنواء في مواسم العرب، لأبي محمد بن قتيبة الدينوري، (ص٤٥)، صحح عن النسخ المشهورة في المكاتب الشهيرة.

البكاء فقد ظل يبكي المهلهل أخاه ردحا من الزمن تلك الحالة التي سيطرت على جانب من شعره الرثائي، فهو القائل:(١)

كيفَ أسلو عنِ البكاءِ وَقــومي قَدْ تَفَانَوْا فَكَيْفَ أَرْجُو الْفَلاَحَــا

فهو يشير إلى أنه لا يستطيع الفكاك من البكاء ونسيانه، فكل شيء حوله يدعو إلى البكاء واستمرار الدموع، ثم يؤكد على أن هذا الشعور المزعج لا مفر منه في قوله:(٢)

أَبَتْ عَيْنَــايَ بَعْــدَكَ أَنْ تَكُفَّــا كَأَنَّ غَضَا الْقَتَــادِ لَهَــا شِــفَارُ

إن هيجان الانفعال وجزع النفس حتى تكاد تنفطر لواضح وجلي، وذلك عبر أيقونة الدموع ومشهد انحدارها بغزارة.

وهو حين يعمد إلى الحديث عن حالته النفسية الحزينة بسبب فقدانه أخيه يوظف نفس المصادر التي تحيط به في بيئته، وكأنه ينقل الواقع وذلك في قوله:(٣)

أَبَتْ عَيْنَــايَ بَعْــدَكَ أَنْ تَكُفَّــا كَأَنَّ غَضَا الْقَتَــادِ لَهَــا شِــفَارُ

ثم ما هي نظرته للحياة بعد أن رأى الموت تفجعه في أعز الناس عليه؟ الموت الذي كان يمثل بالنسبة للإنسان العربي في العصر الجاهلي شبحا مرعبا لم يستطع فك شفرة العلاقة القائمة بينهما، فهو يراها حتمية لا مفر منها ويبدو هذا في قوله:(٤)

---

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٢٥).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).

(٣) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٢).

(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٣).

أرى طـــولَ الحيـــاةِ وَقَـــدْ تـــولى كَمَـــا قَـــدْ يُسْـــلَبُ الشَّـــيْءُ المُعَـــارُ

فالحياة بأيامها وأفراحها وأحزانها ليست ذا قيمة كمثل الشيء الذي أعير ولا بد أن يرد إلى أهله، والشاعر في بنية الحزن يصور جزءا جنائزيا مهيبا اعتمد فيه المبالغة، فكل الكائنات تبكي كليبا حتى الديار وبقاياها، فيقول:(١)

أضحتْ منازلُ بالسلانِ قـــدْ درســـتْ تبكي كليبـــاً ولَـــمْ تفـــزعْ أقاصـــيها

وبعد أن يقدم بثه وحزنه ووصفه لليلته بأنها ليلة رهيبة حالكة، ولم يعد قيمة للحياة عنده، وأصبحت كل الكائنات حول في حالة أسى وحـــزن علـــى فقدان كليب، أخذ يسرد النجوم ويصف أحوالها، وكأنـــه ذو درايـــة بـــالنجوم وأمرها، في محاولة منه للاتجاه إلى أي شيء آخر ينسيه الحزن ويسلي عنه، فنراه يقول:(٢)

فـــإنْ يـــكُ بالـــذنائبِ طـــالَ ليلـــي فقـــدْ أبكـــي مـــنَ الليـــلِ القصـــيرِ

وَأَنْقَـــذَنِي بَيَـــاضُ الصُّـــبْحِ مِنْهَـــا لقـــدْ أنقـــذتُ مـــنْ شـــرٍّ كبيـــرِ

فهو يشبه كواكب الجوزاء بنوق حديثات السن عكفت على ربع، وهـــو ولد الناقة، وكذا نجم الجدي يبدو وكأنه شد بحبل مثنى يشبه الأسير الذي أُحكم وثاقه فلا يستطيع الحركة، والنجم هنا مجموعة الثريا، شبهها بالفصال في يوم مطير فهي تمشي ببطء خوفا من الزلق في الوحل كل ذلك لـــيعكس صـــورة الليل الطويل الذي يبعث على الحزن والهم، لذا نـــراه يشـــير إلـــى أن هـــذه الكواكب كلها هي كواكب ليلة طالت وطال معها غمه وهمه.

---

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٨٩).

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، (ص٣٨).

وتأتي القوة الإنجازية لهذه الأفعال التقريرية فيما سبق في تقرير ووصف حالة الحزن وكيف أصبح هو بعد مقتل كليب، وكيف أصبح لا يرغب في شيء سوى الانتقام والثأر لأخيه، وهو بذلك يحقق المقاصد التواصلية المنجزة في نصه ويرسم للمتلقي أبعاد حالته النفسية، وما تنطوي عليه، "فالمتكلم عند استخدام جملة ما فهو يحقق مقاصد تواصلية محددة، تتعلق بما تخبر به الجملة مباشرة وارتباط ما تخبر به مباشرة بجمل أخرى في السياق اللغوي، وهكذا تنتج جهة توجه الوظائف التواصلية من تعلق مميز مقصود من المتكلم بالمحيط اللغوي للجملة، هذا التعلق المقصود من المتكلم بالسياق اللغوي يجب ... أن يعيد المتلقي بناءه على النحو ذاته الذي قُصد من المتكلم"(١)

(١) انظر، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة: نقله إلى العربية وعلق عليه: د. سعيد حسن بحيري، (ص٢٧).

الخاتمة

وبعد: فقد تم هذا البحث في إطار جانب من جوانب الدرس التداولي، وكان معنيًا بدراسة القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة؛ بهدف الوقوف على صور الأفعال الكلامية –بأنواعها المختلفة– تلك التي ظهرت بصورة واضحة في شعره، وقد توصل البحث إلى عدد من **النتائج** من أهمها:

تداخلت الأفعال الكلامية بتنوعاتها المختلفة في شعر الرثاء عند المهلهل بن ربيعة وشكلت أداة لغوية حملت قوة إنجازية حاول الشاعر من خلالها أن ينجز قَصْدِيَّتَه وما يريد إيصاله للمخاطب، من حزنه على أخيه ومظاهر هذا الحزن الذي أحاط بكل جوانب حياته، وما استتبعه من وعد ووعيد لقتلة أخيه والثأر له.

أسهمت (التقريريات) بشكل كبير في إبراز الوظيفة المعلوماتية للنص من خلال ما قدمته من معلومات حول واقعة مقتل كليب وكيف غيرت على المهلهل عالمه فنقلته من حياة لاهية لا يعبأ فيها بشيء إلى حياة ملؤها الحزن والانكسار، وقد قدم الشاعر من خلالها ما يؤيد صدق المحتوى القضوي المتمثل في حقيقة حزنه ومآثر المرثي وقوة قبيلته وما استتبعه من استعداد للحرب للأخذ بثأره، وهذا يؤدي إلى إنجاز قَصْدِيَّتِه وتحقيق التأثير المطلوب في المتلقي.

تمثلت الأفعال الكلامية/ الوعديات في النص من خلال ثنائية الوعد والوعيد وقد نجح الشاعر في إنجاز قَصْدِيَّتِه، عبر ما قدمه في شعره من أفعال كلامية من خلال فعل الوعد القائم على التعهد بالأخذ بالثأر لأخيه وطلب

القصاص من قتلته، وفعل الوعيد الذي يؤكد ما فرضه على نفسه من محاربة قتلة أخيه وإبادتهم.

أتكأ الشاعر في شعره –في الأغلب– على الأفعال الكلامية (الطلبيات) لما لها من دلالة على التوجيه والحث وطلب الالتماس، محاولا من خلالها إثارة المتلقي وتوجيهه.

رغم قلة الأفعال الكلامية (الإيقاعيات) إلا أنها استطاعت أن تؤثر في المستمع، إذ إن قوتها الإنجازية تحدث تغييرا بمجرد التلفظ بها، وقد حاول الشاعر أن يغير نظرة المتلقي من خلالها إلى أنه قد أخذ موقفا حاسما ونهائيا للثأر ولن يتراجع عنه.

استطاع الشاعر من خلال (البوحيات) أن يعبر عن الحالة النفسية التي قد تنتابه أو تنتاب المتلقي من هول هذه الفجيعة التي غيرت عليه عالمه فنقلته من حياة الترف واللهو إلى حياة العزلة والحزن وطلب الثأر لأخيه.

المراجع

١. اتجاهات البحث اللساني: إفيتش، مليكا، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، الطبعة الثانية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠م.

٢. الأساليب الإنشائية في النحو العربي: هارون، عبد السلام، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

٣. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤م.

٤. إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة: نقله إلى العربية وعلق عليه: بحيري، سعيد حسن، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٥. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية) مثنى كاظم صادق، منشورات الضفاف، ٢٠١٥م.

٦. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: نحلة، محمود أحمد، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٧. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية): ميلاد، خالد، الطبعة الأولى، تونس، المؤسسة العربية للتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨. الأنواء في مواسم العرب، لأبي محمد بن قتيبة الدينوري، صحح عن النسخ المشهورة في المكاتب الشهيرة، (د.ط)، (د.ت).

٩. التداولية: يول، جورج، ترجمة: قصي مهدي العتابي، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، دار الأمان، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣١/ ٢٠١٠م.

١٠. التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): صحراوي، مسعود، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ٢٠٠٥م.

١١. التداولية من أوستن إلى غوفمان: بلانشيه، فليب، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، اللاذقية، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
١٢. التداولية اليوم علم جديد في التواصل: روبول، آن، وموشلار، جاك، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
١٣. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: بلخير، عمر، الطبعة الثانية، الجزائر، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
١٤. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: عبد الحق، صلاح إسماعيل، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
١٥. التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: برينكر، كلاوس، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
١٦. تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب: د. محمد العبد، مجلة فصول، العدد ٦٥، يناير ٢٠٠٥م.
١٧. التعريفات: الجرجاني على بن محمد الشريف، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ١٩٦٩م.
١٨. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي: المتوكل، أحمد، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
١٩. ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د.ط، د.ت.
٢٠. السيميائية وفلسفة اللغة: إيكو، أمبرتو، ترجمة: أحمد الصمعي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.
٢١. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ه.

٢٢. شعر الحرب في العصر الجاهلي: د. علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٨٩، د.ط.
٢٣. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت)
٢٤. عدي بن ربيعة المهلهل: ديوانه، تحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
٢٥. العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: سيرل، جون، ترجمة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦م.
٢٦. علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: الحسن، شاهر، الطبعة الأولى، عمان، دار الفكر، ٢٠٠١م.
٢٧. في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلها في الدرس العربي القديم: بوجادي، خليفة، الطبعة الأولى، الجزائر، بيت الحكمة، ٢٠٠٩م.
٢٨. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، حققه واعتنى به: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.
٢٩. مبادئ في اللسانيات: الإبراهيمي، خولة طالب، الطبعة الثانية، الجزائر، دار القصبة للنشر، ٢٠٠٠م.
٣٠. مجازات النداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآني، ظافر بن غرمان العمري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع٦، ذو الحجة ١٤٢٩ه.
٣١. مرثاة الخنساء الإنسانية الموت، والثأر والخلود: أنور أبو سويلم، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ٤، العدد ١، ١٩٨٦م.
٣٢. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية): بوقرة، نعمان، الطبعة الأولى، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٩م.

٣٣. المطول، التفتازاني سعد الدين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.
٣٤. معجم الشعراء: لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٣٥. مفتاح العلوم، السكاكي أبي يعقوب يوسف بن بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٦. المقاربة التداولية: تأليف: أرمينكو، فرانسواز، ترجمة: د. سعيد علوش، الطبعة الأولى، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م.
٣٧. نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية: نحلة، محمود أحمد، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، مج١، ع١ (محرم - ربيع الأول ١٤٢٠/ أبريل - يونيو ١٩٩٩م)، ص (١٥٦ - ٢١٧).
٣٨. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام): أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
٣٩. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: الطبطبائي، طالب سيد هاشم، (د.ط)، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
٤٠. النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: دايك، فان، ترجمة: عبد القادر قينيني، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـــوع	الصفحة
١-	ملخص	٦٣٩
٢-	Abstract	٦٤٠
٣-	المقدمة	٦٤١
٤-	المبحث الأول: الأفعال الكلامية / الماهية والأنواع	٦٤٣
٥-	المبحث الثاني: الأفعال الكلامية / النص والإجراء	٦٥٠
٦-	الخاتمة	٦٨١
٧-	المراجع	٦٨٣
٨-	فهـرس الموضـوعـات	٦٨٧